

الأديان .. الهداية ، أم الأمجاد ؟! (*)

يبدو للمتابع المتأمل ، أن كثيرا من المتدينين ، من هذا الدين أو ذاك ، تمتزج بمشاعرهم أحاسيس الرضا أو الفخر والإعجاب بالأمجاد التي دانت لهم في الزمن الغابر أو القريب .. ولعل هذا الإعجاب بالأمجاد يزاحم في صفحة وعيهم وإحساسهم بالدين ذاته وما جاء به من هداية .. يساعد على ذلك امتداد الأمل في وصل الحاضر بالماضى التليد ، أو اصطناع الأسباب لإسباغ مسوح الدين على مآرب الحاضر في دنيا الأغراض والمصالح .. يتتعد أهل الأديان ، وحاملو دعواتها ، ابتعادا سلبيا مؤسفا ، عن جوهر الدين وهدايته ، حين يلفتون أنظار المتدينين عن «هداية» الدين ليشدوهم إلى «أمجاد» غابرة أو حاضرة أو منشودة .. ابتعاد الناس عن «هدايات» الأديان ، والتعلق بالأمجاد ، ليس عيبا في الأديان ، ولا نحرا ولا انتقاصا منها .. الدين هو هو وسيبقى هو هو .. اهتدى إليه الناس أو حادوا عنه . الله سبحانه وتعالى واحد ، لا يتغير ولا يتبدل .. رب اليهود هو رب المسيحيين هو رب المسلمين هو رب الكون والخلق كله والناس أجمعين على اختلاف أديانهم ومللهم ونحلهم ، أو هداهم وضلالهم .. إن الاتجاه إلى الله تعالى لا يتغير لأنه سبحانه واحد أحد ، وإنما الذى يتعدد ويتغير هو اتجاه الأدميين إليه سبحانه ، وجودا وعدما ، قربا وبعدا ، جدّا وهزلا ، فهما وغباء ، علما

(*) الأهرام ٢٠٠٤ / ٢ / ٦

وجَهلاً .. وذلك على قدر هداية وعقل وبيئة الأدمى ووسطه وعصره
وزمانه ومحيطه .. انشغال بعض أهل وأبناء الديانات عن «هدى»
أديانهم ، عييه فيهم لا فى الأديان .. لم تمض ولم تنتشر «هدايات» الأديان
بالحروب والأجناد ، وإنما تحققت الأجناد حين اهتدى المتدينون والتزموا
بجوهر الدين ، والتفتوا إلى أعمدة الحقيقة للأديان ، وروحها الباقية
التي نزلت بها رسالتها من السماء .

المسيحية ، والمجد الحقيقى ! :

لم تكن أجماد المسيحية الحقيقية فى الإمبراطوريات التي أقامتها دول
مسيحية لم تكن تغيب عنها الشمس ، ولا فى الحروب الصليبية التي
اتشحت بشعار الصليب لتغزو الشرق الإسلامى ، ولا فى موجات
الاحتلال الاستعماري التي أتت من أوروبا المسيحية إلى آسيا وأفريقيا
فعصفت واستنزفت ، ولا فى تقويض الأندلس الإسلامية ومطاردة
المسلمين ، ولا فى محاكم التفتيش ، ولا فى غزو أفغانستان فالعراق !! ..
مجد المسيحية الحقيقى فيما نزلت به من هداية ومحبة .. المسيحية نزلت
وقد أهملت شريعة موسى ، وطغت الماديات حتى تحول الهيكل المقدس
إلى مشروع ومزار تجارى ، وتفرقت الطوائف إلى صدوقيين وفريسيين
وأسيانيين وغلاة وسامريين .. جاءت المسيحية لتعيد السواء إلى الخروج
عن الناموس وشريعة التوحيد التي جاء بها موسى عليه السلام ، حتى كان
المسيح عليه السلام يقول : «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (متى
٢٤/١٥) .

جاء المسيح عليه السلام ببساطة الضمير.. يدعو إلى ملكوت السماء في الضمير والوجدان ، لا في القصور والعروش .. يقول للناس : «لن تربح شيئا إذا كسبت كل شيء وخسرت نفسك !» .. هداية المسيح لا تبالي بظاهر الدنيا كله إذا سلم للإنسان باطن الضمير . لم يدع المسيح عليه السلام إلى استعمار ولا إمبراطوريات ولا إلى تجبر .. مضى في الناس يدعو ويقول : «طوبى للحزانى . طوبى للمساكين . طوبى للجباة والظلماء . طوبى للمطرودين في سبيل البر ، طوبى للودعاء والرحماء : تعالوا إلى يا جميع المتعبين والمثقلين» .. لم يقل عليه السلام طوبى للمستعمرين أو الأغنياء أو المتجبرين .. يحمل إلى البشرية دعوة الهداية والاسماح ويقول لمن تكالبوا على المجذلية : «من كان منكم بلا خطيئة فليتقدم وليرجمها بحجر!» .. حمل المسيح إلى البشرية شريعة الحب في مواجهة الجحود والتجبر والرياء .. شريعة الحب لا تبقى شيئا من شريعة الأشكال والظواهر ، ولكنها لا تنقص حرفا واحدا من شريعة الناموس بل تزيد عليه .. تقول شريعة الحب التي أتى بها المسيح للمزهو المتعالى بنفسه : «لماذا تنظر إلى القذى في عين أخيك ، ولا تنظر إلى الخشبة التي في عينيك ؟» لا عنصرية في المسيحية ، ولا استعلاء لأحد على أحد : «بل الذي يعمل مشيئة الله هو أخى وأختى وأمى» .. «إن الدين بما تعمل لا بما معكم!» .. دعوة المسيحية إلى «ملكوت السماء» لا إلى «مستعمرات» في الأرض !

ماذا تكسب الدنيا ، بل ماذا تكسب المسيحية والمسيحيون بالانصراف إلى الأبحاث الزائفة عن «الهداية» التي جاء بها السيد المسيح !!!

لم يكن كل المسيحيين معنيين بإقامة الإمبراطوريات والتعلق بأبجادهما ،
ولا احتلال بقاع الأرض والاستيلاء على ثروات الشعوب ، ولا نصب
محاكم التفتيش ، ولا غزو بلاد الله ! بل لقد هب ملايين من المسيحيين
البسطاء ، مع مجلس الكنائس العالمي ، ومؤتمر الكنائس الأوربي ،
والمجلس الوطني لكنائس المسيح في الولايات المتحدة ، ومجلس كنائس
الشرق الأوسط للتنديد بغزو العراق ، وخرج يوم ١٦ / ٢ / ٢٠٠٣
عشرات الملايين من أهل الأديان وبحر العاديين من البسطاء في أوروبا
والأمريكتين في مظاهرات حاشدة عمت عواصم العالم ومدنها الكبرى ،
وصفت بأنها «مظاهرات القرن» ، في أكثر من ٦٠٠ مدينة ، للاعتراض
بقوة على هذا الغزو ، وعلى «المصالح» الكامنة التي وراءه ، معترضين
على نهم المصالح التي تبتعد عن «هدايات» الأديان . مجد المسيح
وهدى المسيحية ، عاثشان في قلوب مئات الملايين الذين لم تصرفهم
لغة المصالح ومنطق التوسع والأبجاد الزائفة ، عن جوهر دعوة السيد
المسيح وما حملته من هداية .
